الرورشاخ واختبار تفهم الموضوع TAT: أدوات للتشخيص السيكوباثولوجي

كتيبة بوشيشة

أستاذة محاضرة "ب"

قسم علم النفس

جامعة الجزائر2

ملخص

يسمح استعمال التقنيات الإسقاطية في الممارسة العيادية، من استخراج مختلف نماذج التوظيفات النفسية لغرض وضع التشخيص السيكوباثولوجي، وفق توظيف نفسي عصابي، ذهاني أوحدي؛ فيعطينا كل من الرورشاخ وTAT إمكانية إجراء قراءة عيادية إسقاطية وسيكوباثولوجية، دقيقة وموافقة للتوظيف النفسي رغم تعقده، انطلاقا من محور النرجسية والهوية إلى غاية التصورات العلائقية.

من خلال هذا المقال سيتم توضيح كل من عوامل وسياقات الرورشاخ و TAT لمختلف التوظيفات النفسية.

الكلمات الدالة: الرورشاخ، TAT، التوظيف النفسي، التشخيص السيكوباثولوجي.

Résumé

L'utilisation des techniques projectives dans la pratique clinique, permet de dégager les différentes modalités du fonctionnement psychique dans la perspective d'un diagnostic psychopathologique, en référence à un fonctionnement névrotique, psychotique ou état limite.

Le Rorschach comme le TAT, nous donnent la possibilité d'effectuer une lecture clinique projective et psychopathologique, fine et pertinente du fonctionnement psychique dans sa complexité, allant de l'axe narcissique et identitaire jusqu'à les représentations de relations.

Mots-clés : Rorschach ; TAT ; fonctionnement psychique ; diagnostic psychopathologique.

مقدمة

تعتمد ممارسة الفحص النفسي على إجراء المقابلات العيادية وبطبيعة الحال على تمرير الاختبارات النفسية الفعالية منها والشخصية التي تأخذ حيزا مهما في الفحص، ألا وهي الرورشاخ واختبار تفهم الموضوع TAT اللذان يسمحان بتناول المظاهر السوية والمرضية للتوظيف النفسي.

ففي الرورشاخ، تكون القراءة من خلال الإجابات الشاملة والجزئية، في مظهرها الشكلي، الحركي واللوني في مرجع إنساني، حيواني أو مراجع أخرى؛ لنذكر فقط إلا العناصر الأكثر وضوحا. بينما في TAT، فتكون القراءة من خلال توزيع الأساليب الدفاعية بالرجوع إلى سجلات الصلابة، المرونة، تجنب الصراع وبروز السياقات الأولية.

حيث تكون القراءة مدققة لعوامل الرورشاخ وللأساليب الدفاعية لTAT ، في تعبيراتها وكيفية تداخلها في مرجعية للتوظيف النفسي العصابي، الحدي والذهاني.

سياق تمرير الرورشاخ وTAT

عندما يستقبل الأخصائي النفسي طلب المساعدة من طرف الشخص، الخطوات الأولى التي يقوم بها هي إجراء الفحص النفسي حيث يوفر هذا الأخير مكانا وحيزا خاصا للتعبير إضافة إلى غرض فهمه، التعرف على الصعوبات التي يعاني منها واقتراح المساعدة الموافقة لطلبه؛ إضافة للمقابلة العيادية التي تسمح من جمع العناصر الهامة لتاريخ الحالة، يقترح الأخصائي تمرير الاختبارات النفسية الفعالية والشخصية.

يتناول هذا المقال مساهمة كل من الرورشاخ وTAT في وضع التشخيص، بعبارة أخرى كيف تسمح قراءة عوامل الرورشاخ والأساليب الدفاعية لTAT من رصد أهم الميكانيزمات الدفاعية والعلامات السيكوباثولوجية التي تظهر من خلال إجابات الرورشاخ وقصص TAT؟

تسمح مختلف التعبيرات هذه من إرصان الفرضيات الموافقة للتوظيف النفسي، للإشكاليات التي تميز البنية و خصوصية الشخص في فردانيته.

يوضح (Anzieu, 1982) أن الاعتماد على النموذج التحليلي في تمرير وتحليل هذه التقنيات لا يهدف إلى وضع ملصقة سيكوباثولوجية، وإنما لتقييم مجموع السير النفسية للفرد من أجل اقتراح المساعدة النفسية.

في هذا المنظور، تسمح السيكوباثولوجية التحليلية من استخراج نماذج التوظيف النفسي بالرجوع إلى التنظيمات الصراعية الثلاث الكبرى: العصاب، التوظيفات الحدية-النرجسية والذهان؛ حيث نقدم تذكير مختصر للتوظيفات النفسية لكي نستطيع فهم الروابط بين ما هو نظري فيما يخص النماذج السيكوباثولوجية الكبرى و تحديد خصوصياتها في الرورشاخ وTAT .

2. النماذج السيكوباثولوجية

1.2 العصابات

تنتظم مميزات "النواة المشتركة" بين العصابات- الاستحواذي، الهستيري والخوافي حول الصراع الضمن- نفسي، للإشكالية الأوديبية من خلال سياقات التقمص والمكافحة بين الرغبات- الموانع والتصورات للعلاقات؛ وهذا بالمرجعية للموقعية الأولى والثانية.

هذا ما يوضحه تعريف العصاب الذي قدماه Laplanche et pontalis على أنه: "عاطفة نفسية المنشأ أين تكون الأعراض تعبيرا رمزيا لصراع نفسي، يجد جذوره في القصة الطفولية للفرد، ويشكل تسويات بين الرغبة والدفاع. تغير امتداد مصطلح العصاب في أيامنا هذه، ويخص استعماله فقط لأشكال عيادية متعلقة بالعصاب الاستحواذي، الهستيريا وبالعصاب الخوافي." (Laplanche, Pontalis, 2002, p 267-268)

نستخلص من هذا التعريف ثلاث أبعاد أساسية: المرجعية للقصة الطفولية، الصـــراع الضمن- نفسي، مفموم التسوية وأخيرا التعبير الرمزي.

تستدعي الرمزية الوصول إلى سجل تعبيري مزدوج (ظاهري وكامن)، إلى تســجيل شعوري/قبل شعوري/لاشعوري، الذي يشهد على دينامية صراعية بين الهيئات النفسية، الخصوصية نفسية المنشأ والمنبع الداخلي للصراع يجد أصله في القصة الطفوليـــة للفـــرد، وكذا المواجهة بين الرغبات والدفاعات؛ كلها تجد الحل في التسوية التي تسمح ببقـــاء الجميع.

2.2 التوظيفات الحدية- النرجسية

يشير (Bergeret, 1979) إلى أن الإشكالية المركزية للتوظيفات الحدية تعود إلى قلق فقدان حب الموضوع، وأن الثابت "الاكتئابي" يشتـــكل النـــواة المشـــتركة لهـــذه التنظيمات، تماما مثلما هو الأمر بالنسبة لقلق الخصاء في العصاب، حيث تظهر عنـــدهم صعوبات واضحة على حد السواء في قدرات الإرصان للوضعية الاكتئابية وفي التعامـــل بين العواطف والتصورات.

يبين التمييز بين التوظيف الحدي والتوظيف النرجسي ترتيبات نزوية ودفاعية مختلفة، غير أن كلا النموذجين يشتركان في نفس الهدف ألا وهو: محاولة التغلب علـــى قلـــق فقدان حب الموضوع.

- عند الفرد النرجسي: يشكل الإعلان بالاكتفاء الذاتي، المدعم بالمثالية والتجميد النرّوي المحور الأساسي للسياقات النفسية (إذا اكتفيت بذاتي، بُعْدٌ أو فقدان الأخر لن يمسني).
- عند الفرد الحدي: يحدث العكس إعلان الاعتماد المفرط للموضوع يستدعي وجوده المستمر، لتعويض نقائص الاجتياف والمكافحة ضد الهوامات التدميرية التي تشكل الوجه الأخر للاعتماد.

3.2 الذهانات

تذكر (Chabert, 1998) أنه يمكن اعتبار الفصام كمرجعية نموذجية لإشكالية الذهان، بقدر ما يوضح بكثافة انقطاع علاقات الفرد مع الآخرين وحتى مع نفسه.

يتميز الفصام بتدهورات خطيرة في الاستثمارات النرجسية والمواضعية التي تظهر من خلال العلامات التالية:

- يشكل اضطراب الفكر المرتبط بعدم الاستثمار النرجسي علامة واضحة للاختلال العقلي للفصام.
- يعيق عدم الاستثمار المواضيعي بصفة مهمة الحياة العلائقية للفرد.
- يؤكد انحلال تصور الذات خلط وفقدان الحدود، بمهاجمة بقوة الهوية والشعور بالاستمرار وبالوجود.

3. الرورشاخ، TAT و السيكوباثولوجية

تكمن خصوصية التقنيات الإسقاطية في استكشاف الشخصية بالرجوع إلى مصطلحات أساسية من الميتاسيكولوجية التحليلية التي نذكر منها:

التعارض بين المحتوى الظاهر والمحتوى الكامن، السياقات النفسية الأولية والثانوية، النكوص، الصراعات، الآليات الدفاعية، النزوات، التصورات والعواطف...

حيث يسمح تجميع عوامل الرورشاخ (Chabert, 1983) والأساليب الدفاعية لـTAT (Brelet-Foulard, 2003) من تحليل وتقييم التنظيم الدفاعي للتوظيفات النفسية المذكورة أعلاه.

ويتطلب ذلك تناولا كميا ونوعيا، فنحصل من التناول الكمي للرورشاخ على السيكوغرام، وتوزيعا للأساليب الدفاعية في كل فئة من TAT. ويسمح التناول النوعي من استخراج الآليات الدفاعية، والعمليات النفسية من خلال التقنيتين وترجمتها إلى مفاهيم سيكوباثولوجية.

وعليه كيف يمكننا رصد مختلف عوامل الرورشاخ والأساليب الدفاعيـــة في TAT التي من شأنها أن تعطينا تشخيصا لصالح توظيف نفسي عصابي، حدي أو ذهاني؟

بغرض تسهيل رصد هذه السياقات، قمنا بتحليلها وتجميعها مـــن خـــلال أعمـــال (Chabert, 1987,1998) و(Brelet-Foulard, Chabert, 2003) كما هو موضح في الجداول التالية.

فيما يخص العصاب، نستخلص أهم العناصر التي يمكن تسجيلها في مختلف السجلات بمراعاة الخصوصية الاستحواذية، الهستيرية والخوافية كما تظهر في كل من الرورشاخ و TAT.

جدول رقم1: عناصر ممثلة لعوامل الرورشاخ والأساليب الدفاعيـــة لTAT في العصاب

العصاب	
الرورشاخ	**TAT**
- التوظيف متوافق مع الواقع - المؤشرات الشكلية واللجوء إلى المدركات المشتركة في القيم المعيارية (F%, F+%, D%) والإجابات المبتذلة) - وجود صدمات مرتبطة بالأحمر، مع إجابات دم، إجابات فاتحة مظلمة Clob مرتبطة بصور والدية قوية وخطيرة - وجود إجابات بتر لكنها ليست مهددة لكمالية الجسد، وأخرى معبرة عن عواطف مزعجة يمكن أن تظهر الاختلافات بين سجلات العصاب كما يلي:	- قراءة المحتويات الظاهرة للوحات واضحة من خلال أساليب الرقابة... التي تحافظ على العلاقة بالواقع بصفة مرضية، وبروز السياقات الأولية نادرا ما تؤثر في المدرك - ترجمة المضامين الضمن-نفسية من خلال أساليب معينة في الرقابة وفي المرونة، العنصر المشترك بين السجلين هو وجود تسلسلات متعارضة ومتناقضة. **- في سلسلة الصلابة:** - ذهاب/إياب بين التعبير التروي و الدفاع (A2-4) تشديد على الصراعات الضمن شخصية

في السجل الهستيري: - إجابات محملة بالعواطف - تناوب لحالت انفعالية متعارضة - رفض خاصة للوحات IX, VII, VI - صدمة اللون C ، سيطرة ل CF, C بالنسبة ل FC **في السجل الاستحواذي:** - الأجزاء الصغيرة مرتفعة Dd↑ - الحركة غالبا مرتفعة K↑ - إجابات معقدة مع وجود علامات قلق الخصاء (صعوبات في التعامل مع العدوانية في صدى مع رمزية اللوحات لاسيما الحمراء) - تنوع الإجابات - غياب أو قلة في الإجابات اللونية C - نسبة المحتوى الحيواني مرتفع A% - انتقاد الإجابات مباشرة أو غير مباشرة - إجابات طويلة، لكن عددها متوسط - وصف البقع في ظل الشك - نمط الصدى الحميم منطوي(TRI introverti) **في السجل الخوافي:** - صدمة الأحمر(تفسير ظاهري أو كامن للدم في اللوحات II و III، مؤشرات قلق الخصاء) - الإجابات الإنسانية أقل من الإجابات الإنسانية الجزئية H <Hd - إجابات معقدة مع الإحساس بالرعب - إجابات إضافية - تداخل لصدمة اللون الأسود - صدمة الألوان	**- في سلسلة المرونة:** - تصورات و/أو عواطف متضادة- ذهاب/إياب بين رغبات متناقضة (B2-3) تكون هذه الأساليب مرتبطة مع أساليب أخرى تحت سيطرة الصلابة أو المرونة بصفة ضمنية من خلال ميكانيزم العقلنة والرمزية الشفافة **تحت الشكل الهستيري:** - يظهر من خلال التعبير عن العواطف بصفة كثيفة، حيث يعطي الطابع المبالغ فيه مؤشرات واضحة - تنتظم القصص في نوع من الدرامية حول التشديد على العلاقات البين-شخصية (B1-1)، وتظهر قوة هوامات الإغراء بصفة خفية من خلال شبقانية العلاقات (B3-2) **تحت الشكل الاستحواذي:** - يظهر من خلال تصرفات نشيطة، بناء وإرصان بفضل الاستثمار المفرط للفكر، التشديد على الصراع الضمن- داخلي (A2-4) مع تعبئة دفاعية لاحتواء أي استحابة انفعالية قوية بفضل ميكانيزم العزل، الإلغاء، التكوين العكسي والعواطف المخفضة. (A3-2) ,(A3-3), (A3-4) **تحت الشكل الخوافي:** - يأتي التعبير تحت وطأة الكف (CI-1)، (CI-2)، (CI-3) من خلال الميل العام للتقصير، دوافع الصراعات غير محددة... حيث يمكن أن ترتبط بأساليب الصلابة أو المرونة.

يوضح الجدول أعلاه مختلف عوامل الرورشاخ التي تظهر في السجل العصابي، أساسا باللجوء إلى التناول الشكلي في تعبير إلى حد ما خاص بالنسبة لمختلف سجلات العصاب، حيث يطغى في السجل الاستحواذي عناصر من نوع الشك، وصف مفصل للإجابات مع ارتفاع للإجابات الحركية وقلة في الإجابات اللونية، أما في السجل الهستيري فتكون الإجابات محملة عاطفيا في تناوب بين حالات انفعالية، رفض لبعض اللوحات المذكورة أعلاه مع وجود إجابات لونية؛ ويتم التعبير عن هذه العناصر في السجل الخوافي من خلال إجابات لا- لونية في نوع من صدمة للون الأسود وإجابات معبرة الرعب.

تدعم هذه العناصر بالأساليب الدفاعية ل TAT بالنسبة للعلاقة بالواقع بصفة مرضية من خلال أساليب الصلابة الخاصة بالاستحواذ في نوع من العمليات للبناء و الإرصان باستثمار مفرط للفكر، والتي تظهر في تعبير مرن من خلال أساليب تحت شكل هستيري بالتعبير عن تصورات و/أو عواطف متضادة، ذهاب وإياب بين رغبات متناقضة، أما في التعبير الخوافي فيكون الكف هو العلامة الأساسية لعمل مختلف السياقات.

فيما يخص الحالات الحدية، نستطيع توضيح عناصر الرورشاخ و TAT كما يلي:

جدول رقم 2: عناصر ممثلة لعوامل الرورشاخ والأساليب الدفاعية لTAT في الحالات الحدية

الحالات الحدية	
الرورشاخ	TAT
- المحافظة على الرابط مع الواقع، مع حضور واضح لبروز السياقات الأولية - استجابة حسية مهمة خاصة اتجاه الأسود والأبيض	- تسمح المادة الشكلية من المحافظة على اختبار الواقع، مع القدرة على إنشاء الروابط - تصورات الغلاقات مبنية أساسا على نمط مرآتي (CN-5)، الآخر هو مضاعف الفرد فالاختلاف

- نجد إجابات في مرجعية بالنسبة للصور الوالدية حاملة لمواضيع العظام بصفة خطيرة ومهددة، في ظل معاش التخلي والفراغ - نسبة التناول الشكلي الايجابي F +% مرتفع، مع وجود لأهم الإجابات المبتذلة - عدد الإجابات مرتفع R↑ - تنوع في المحددات، المحتويات، حرية في التداعيات - تعبير عن غنى الحياة الهوامية - تواجد لمختلف السجلات (ذهانية، عصابية وسوية) مع تداخل في توظيفها تقريبا في نفس الوقت هي من مميزات الحالات الحدية - وجود تقريبا دائم لمؤشرات القلق، في عبارات حاملة للتعارض تبعث إلى نظرة اشطارية (خير/شر، فوق/تحت...)	(خاصة جنسيا) غير محتمل، من الممكن أن تبعث إلى عيب أو نقص أي إلى جرح نرجسي - إنكار الحركات التروية كالرغبات التي تظهر في الانطباع الذاتي (CN-1) وفي المثلنة النرجسية (CN-2)، التي تعطي أهمية لتعالي واستقلالية الفرد بالنسبة للمواضيع - تظهر التبعية في التمسك بالواقع المادي من خلال أساليب استثمار الواقع (CF)، التي تعوض عمل أساليب الصلابة بتوضيح عدم القدرة على تطوير الصراعات والتشبث بالملموس - يظهر التمسك بالأشخاص من خلال الأساليب ضد-إكتئابية (CM) في الاستثمار المفرط للوظيفة السندية للمواضيع مع مثلنة إيجابية وسلبية للموضوع.

يبين الجدول أعلاه أن عوامل الرورشاخ التي تساعد على فهم وتحديد التوظيف الحدي، تخبرنا عن نوعية الواقع الذي تم الحفاظ عليه في ظل وجدود تسلل للسياقات الأولية، مع وجود تقريبا دائم لمؤشرات القلق لمواضيع التهديد والخطر غالبا مرتبطة بمعاش التخلي معبر عنه في سياق الانشطار. أما بالنسبة لأساليب الدفاعية ل TAT فتوضح بدورها القدرة على الحفاظ على الصلة بالواقع، غير أن تصورات العلاقات مبنية أساسا على نمط مرآتي يرتكز على الانطباع الذاتي والمثلنة النرجسية، كما هو الحال في الواجهة الأخرى بالنسبة للاعتماد والتبعية في فرط الاستثمار للوظيفة السندية.

فيما يخص التوظيف الذهاني، نستطيع توضيح عناصر الرورشاخ و TAT كما يلي:

جدول رقم3: عناصر ممثلة لعوامل الرورشاخ والأساليب الدفاعيـــة لTAT في الذهان

الذهان	
الرورشاخ	TAT
- تدهور سياقات الفكر، مع انهيار للتناول الموفق للواقع - انخفاض نسبة F+% لصالح ارتفـــاع نســـبة F%، وحتى نسبة التناول الشكلي الايجابي الموسع élargi F+% لا يصحح من نسبة F+% - ارتفاع الإجابات الشـــاملة التخريفيـــة (G confabulés) غير المنظمة - تحديد حزافي للمواقع التي تأتي غير واضـــحة الحدود، مع انخفاض نسبة الإجابـــات الجزئيـــة D% - ارتفاع نسبة الإجابات الجزئية الصغيرة Dd% مع وجود تفاصيل ناذرة وغريبة - بـــروز نـــزوي خـــام (لـــون خـــالصC، C+CF>FC) ندرة الإجابات الحركية K - إجابات حركية ذات قيمة تفسيرية أو هذيانية - قلة أو انعدام الإجابات الإنسانية H - محتويات مجزأة Hd، Ad ومحتويات تشريحية Anat - تسلسل مشوش، عقلانية مرضـــية والتكـــرار Persévération	- العلاقة بالواقع في TAT محـــافظ عليهـــا نظـــرا للتشبث بالمدرك الذي هو ضـــروري في التوظيـــف الذهاني، بحيث يكون هناك التصاق بالمواضيع إدراكيا في غياب أي استثمار هوامي وعاطفي - وجود تشوه لإدراك الواقع (كإدراك أجزاء نـــادرة وغريبة، تبريرات تعسفية (E1-2) مـــع مهاجمـــة العلاقات من خلال ميكانيزمات خاصة - رفض اللوحات التي تبعث إلى التقارب العلائقـــي وكذا التصورات والعواطف المرتبطة بالصورة الأمومية - إخفاء موضوع ظاهري، خاصة المتعلق بشخصيات اللوحات وهو نوع من الإنكار وعـــدم الاعتـــراف بالرابط - اختلال في تنظيم لمعالم الهويات والمواضيع - الخلط بين المفرد والجمع، علامـــة علـــى وجـــود صعوبات في سياق الفردانية والاستمرارية النفسية - الغياب والموت مواضيع حاضـــرة في التوظيـــف الذهاني، وتدل على وجود صـــدى تمـــديمي، مـــع صعوبات كبيرة في التعامل والمحافظة على العلاقـــة في الزمن.

- مظهر فوضوي للخطاب، زمن الكمون طويل، صمت ضمن اللوحة مع توقفا ت مباغتة والرفض - مظـــاهر خارجـــة عـــن الإجابات:(معـــاش اضطهادي، عناصر تفسيرية تفكك في اللغة) - صدمة بالنسبة لوحدة الهوية في اللوحة V - صدمة التفكك في اللوحة X	

يوضح الجدول أعلاه، كيفية ظهور عوامل الرورشاخ في الذهان من خلال إصابة سياقات الفكر بانحراف العلاقة بالواقع بلجوء غير موفق للشكل وبروز للسياقات الأولية التروية الخامة، مع تحديد للمواقع بصفة جزافية في خطاب مشوش حاملا لانطباعات تفسيرية هذيانية وغالبا اضطهادية، متبوعة بأساليب الدفاع في TAT بالمحافظة على العلاقة بالواقع من خلال تشبث بالأجزاء بصفة نادرة وغريبة مع وجود اختلال في تنظيم معالم الهويات والمواضيع كل هذا يعطي بصمة اختلال التوظيف النفسي.

خاتمة

يعطي تحليل وتفسير معطيات التقنيات الإسقاطية إلى مجموع الفحص النفسي، تناسق أساسي إذ يسمح بوضع تقييم تشخيصي قوي ضمن الممارسة العيادية بالاعتماد علـــى معطيات المقابلة، اختبارات الفعالية وخاصة التقنيات الإســـقاطية؛ إذ يتطلـــب تصـــور الفحص النفسي الذي يرتكز على خصوصية كل اختبار حتى يقدم فهما مدققا للتوظيف النفسي صرامة ابستيمولوجية ويعتمد على تكوين نظري-عيادي معمق.

كما تقدم هذه التقنيات للمختص النفسي، أدوات خاصة للبحث وتسمح بتنـــاول مجال التطبيق العيادي والسيكوباثولوجي.

المراجع

1. Anzieu, D. (1982). Possibilités et limites du recours aux points de vue psychanalytique par le psychologue clinicien, *Connexion,* 40, 31-37.
2. Bergeret, J. (1972). *Psychologie pathologique, théorique et clinique,* 7e édition, 1998, Paris : Masson.
3. Brelet-Foulard, F. et Chabert, C. (2003). *Nouveau Manuel du TAT :* Approche psychanalytique, 2e édition, Paris : Dunod.
4. Chabert, C. (1983). *Le Rorschach en clinique adulte.* Interprétation psychanalytique, Paris : Dunod.
5. Chabert C. (1987a). Rorschach et TAT : antinomie et complémentarité, *Psychologie Française,* 32-3, 141-144.
6. Chabert, C. (1987b). La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach. 2e édition, 1998, Paris : Dunod.
7. Chabert, C. (1994). Les approches structurales. Dans D. Widlocher, (dir). *Traité de psychopathologie.* 105-157. Paris : Presses Universitaires de France.
8. Chabert, C. (1998). *Psychanalyse et méthodes projectives,* Paris : Dunod.
9. Laplanche, J. et Pontalis, J-B. (2002). *Vocabulaire de la psychanalyse.* Paris : Presses Universitaires de France.